خطاب الاحتجاج في الشعارات الثوريّة

مقاربة تداولية حِجاجيّة

د.أميمة صبحي خليل*

ملخص

الاحتجاج في أبسط مفاهيمه هو الاعتراض على أمر ما، وقد ظهر بوصفه مكونًا أساسيًّا في المجتمعات العربية والغربية على حد سواء، ولكنه ظهر جليا في الدول العربية التي وقعت تحت وطأة الاستعمار، ومع ظهور الأنظمة القمعية في بعض الدول العربية، وتردّي الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية تطورت صورة الاحتجاج في العصر الحديث، وباتت جموع الشعوب العربية في تلك الدول على حافة الهاوية، وأصبحت تَتَحيّن اللحظة المناسبة لتعلن– صراحة – مقاومتها ورفضها للتهميش والإقصاء وكل الممارسات الديكتاتورية.

الشعارات والهُتافات كانت وسيلة تلك الجموع لإعلان احتجاجها، والتأثير في غيرها ممن يخشى بطش الحُكّام لو أظهر مقاومته واحتجاجه، أو ربما تعوزه ثقافة الاحتجاج التي يستطيع من خلالها المطالبة بحقوقه المنهوبة والدفاع عن مقدّراته المشروعة.

ولأن الاحتجاج في الشعارات الثورية يصدر عن شعور جمعي في سياق تاريخي وجغرافي واحد، فإننا نُلفِيه محمّلًا بالمدلولات الثقافية؛ إذ يعكس بملفوظاته وتراكيبه أحوال المجتمع المتردية سياسيًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا، يعتمد المتكلم/ الباثّ فيه على موروثه اللغوي المختزن والمكتسب، ليكون أداة ناجعة في إنجاز رسالة خاصة، وفق سياقات وأحوال متغيرة، وعلى قدر قوة تلك المتغيرات، تكون قوة خطاب الاحتجاج باعتباره أداةً لتجسيد مطالب الشعب، لمن يهمه الأمر راعيًا كان أم رعية. وخطاب الاحتجاج في الشعارات الثورية ذو خصائص تلفظية ومقامية، ولا يخلو من

* د. أميمة صبحي خليل: مدرس البلاغة والنقد الأدبي كلية الآداب - جامعة الفيوم

مقاصد تأثيرية إقناعية، فضلا عن كونه فعلا تداوليًّا، مما يعطي مشروعية مقاربته من منظور تداولي حجاجي.

الكلمات المفتاحية: الاحتجاج – الشعارات – الثورة – تداولية – حجاجية

مدخل

الاحتجاج في أبسط مفاهيمه هو الاعتراض على أمر ما، وقد ظهر بوصفه مكونًا أساسيًّا في المجتمعات العربية والغربية على حد سواء، ولكنه ظهر جليا في الدول العربية التي وقعت تحت وطأة الاستعمار، وتجلّى في صورة مقاومة سياسية وثقافية واجتماعية. وتطورت صورة الاحتجاج في العصر الحديث مع ظهور الأنظمة القمعية في بعض الدول العربية، وتردّي الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حتى باتت جموع الشعوب العربية في تلك الدول على حافة الهاوية، وأصبحت تَتَحيّن اللحظة المناسبة لتعلن– صراحة – مقاومتها ورفضها للتهميش والإقصاء وكل الممارسات الديكتاتورية.

وكانت الشعارات والهتافات وسيلة تلك الجموع لإعلان احتجاجها، والتأثير في غيرها ممن يخشى بطش الحُكّام لو أظهر مقاومته واحتجاجه، أو ربما تعوزه ثقافة الاحتجاج التي يستطيع من خلالها المطالبة بحقوقه المنهوبة والدفاع عن مقدّراته المشروعة.

وحتى يكون خطاب الاحتجاج مؤثرا وناجعا في إقناع تلك الجموع غير الواعية بآلية الدفاع عن حقوقها، كان لابد من اعتماد الخطاب على أفعال الكلام، لما لها من وظائف ذات صلة بقصد الباث/المتكلم، ومن أهم هذه الوظائف: وظيفتها الحجاجية التي تزيد من القوتين الإنجازية

والتأثيرية اللتين ابتغاهما أوستين وسيرل من نظريتهما في أفعال الكلام إحدى أهم مسائل النظرية التداولية؛ ذلك أن هاتين القوتين مرتبطتان بوظيفتي التأثير والإقناع في بعض سياقات الخطاب ومقاماته، وأحوال المتكلم ومقاصده، فمقصد هذه الأفعال الكلامية في خطاب الاحتجاج إذن هو دفع المتلقي للمشاركة والتضامن مع الجموع الثائرة، وتحويل الكلام السياسي إلى فعل سياسي أساسه التغيير والإصلاح.

هدف الدراسة وأهميتها ومنهجها

تقارب الدراسة خطاب الاحتجاج من خلال الشعارات الثورية التي انطلقت منطوقة(هُتاف) ومكتوبة (لافتة – ملصقات– جدارية) في عدد من الدول العربية (تونس– مصر– اليمن– ليبيا)[١]، وقد اختصت الدراسة الدول الأربعة فحسب؛ لتشابهها في الأجواء السياسية المتأزمة قبيل الثورة، ولتشابهها في نهاية الثورة بتحقيق أهم مطلب من مطالبها وهي رحيل رئيس الدولة ونظامه (هروب زين العابدين بن علي التونسي إلى السعودية، وتنحي مبارك المصري عن الحكم، وهروب عبد الله صالح اليمني إلى السعودية وتوقيع المبادرة الخليجية، وتصفية القذافي الليبي جسديا). وترجع أهمية موضوع الدراسة إلى الكشف عن طبيعة خطاب الاحتجاج في تلك الشعارات الثورية، والكشف عن تغيرات ملفوظاته وفق محددات السياق الزمنية، وبما يتواءم مع مقاصد الباث الإقناعية.

وسوف تتم هذه المقاربة بالمنهج التداولي الحجاجي الذي يتعامل مع اللغة حال استعمالها التواصلي بين مُرسل ومتلقٍ في سياق محدد له أغراضه ومقاصده.

مادة الدراسة:

اعتمد البحث في جمع شعارات الاحتجاج الثورية على مشاهدات حية لبعض شعارات المتظاهرين على شاشات التلفاز، وعلى بعض مواقع التواصل الاجتماعي، فضلا عن بعض الكتب التي وثّقت هذه الشعارات وجمعتها من بعض الثوار في الميادين.

وقد اعتمدت الدراسة بصورة ثانوية على شعارات الاحتجاج في الثورة التونسية واليمنية والليبية، وبصورة أساسية على شعارات الاحتجاج في الثورة المصرية، لتنوعها وغزارتها، وتعدد دلالاتها ومضامينها وصيغها.

مقدمة

النظرية التداولية تعد إحدى النظريات اللسانية التي تتجاوز في نظرتها للغة مستوى البنية، إلى المستوى التواصلي الوظيفي بما تحتويه بنية الخطاب اللغوي من عناصر اتساق داخلية، وبما أنتجه السياق من عناصر اتساق خارجية، فهي ضمن المناهج اللسانية والنقدية التي تسبر أغوار الخطاب الأدبي وغير الأدبي، وتصول وتجول بين تراكيبه وملفوظاته، فتحلّق بالمتلقي في فضاءات من التأويلات والتحليلات التي تشارك في خلق الخطاب من جديد، فتخلُق إبداعًا من رحم إبداع..

فالتداولية نظرية تتعامل مع اللغة في بعدها الاستعمالي والتواصلي، وتختلف عن البنيوية التي تحولت معها اللغة إلى" علم تجريدي مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة، يؤمن بكيانية البنية اللغوية في مستواها الصوري المجرد"(٢)، بينما تدرس التداولية اللغة باعتبار تغيراتها المستمدة من اختلاف مقامات الاستعمال التي تختلف وفق أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.

ولما كان (خطاب الاحتجاج في الشعارات الثورية)[٣] خطابا ذا خصائص تلفظية ومقامية، ولا يخلو من مقاصد تأثيرية إقناعية، فضلا عن كونه فعلًا تداوليًّا، فقد بات من المشروع منهجيًّا مقاربة الخطاب من منظور تداولي حجاجي.

إن الاحتجاج في الشعارات الثورية يصدر عن شعور جمعي في سياق تاريخي وجغرافي واحد، لذا نُلفِيه محمّلًا بالمدلولات الثقافية؛ إذ يعكس بملفوظاته وتراكيبه أحوال المجتمع المتردية سياسيا واجتماعيا وثقافيا، يعتمد المتكلم فيه على موروثه اللغوي المختزن والمكتسب، ليكون أداة ناجعة في إنجاز رسالة خاصة، وفق سياقات وأحوال متغيرة، وعلى قدر قوة تلك المتغيرات، تكون قوة خطاب الاحتجاج باعتباره أداةً لتجسيد مطالب الشعب، لمن يهمه الأمر راعيًا كان أم رعية.

تعتمد الدراسة على محورين :

المحور الأول : ضبط مصطلحات البحث ومفاهيمه؛ إذ هو إجراء منهجي ضروري في أية دراسة، فقد آثرت أن نلج صميم هذه الدراسة بعد

وقفة عجلى على أهم المصطلحات الواردة في الدراسة، وهي: الخطاب – الاحتجاج– السياق – التداولية– الحِجَاج– الشعار.

المحور الثاني : دراسة تطبيقية على (خطاب الاحتجاج في الشعارات الثورية) في الدول العربية التي شهدت (ثورات الربيع العربي) كما أُطلق عليها، وتأويلها من المنظور التداولي الحجاجي ، وتأويل ملفوظات الخطاب وإحالتها المرجعية في ظل السياق، والكشف عن دوره الوظيفي في إيجاد قدر من الافتراضات المسبقة التي يستثمرها المتلقي في فك شفرات الخطاب؛ ليظل المتلقي عنصرا فاعلا ومشاركًا للمتكلم .

ولما كان السياق في مفهومه العام يعني الجو العام المحيط بالحدث الكلامي بكل محدداته ومؤشراته، فإن الزمن بوصفه أحد هذه المحددات– قد أسهم بفعالية ونجاعة في اختلاف استراتيجية الخطاب، وفي تباين المحتوى القضوي من بداية الثورة في دول الربيع العربي وحتى انتهاء الثورة إما بتنحي رئيس الدولة أو باغتياله أو بهروبه.

المحور الأول: ضبط المصطلحات والمفاهيم

١ –**الخطاب لغة** : يقول صاحب المعجم الوسيط: " خاطبه مخاطبة، وخطابًا: كالمه وحادثه، وخاطبه: وجّه إليه كلامًا، ويقال : خاطبه في الأمر: حدّثه بشأنه... والخطاب الكلام، وفي القرآن الكريم: { فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ }"[٤] وورد في اللسان : " الخِطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام"[٥]. ونفهم من هذه المعاني المعجمية أن الكلمة يدور معناها حول الكلام الذي يتوجه به شخص لآخر.

الخطاب اصطلاحا: تتعدد مفاهيم الخطاب وتتباين ضيقًا واتساعًا تبعًا لتعدد المرجعيات المعرفية والنظرية التي صدرت عنها هذه المفاهيم، ومنها ما ورد بأن الخطاب " حدث تواصلي معين، ولكنه يُمثّل تفاعلًا لفظيًّا أو توظيفًا لغويًّا مكتوبًا أو منطوقا بصفة خاصة"[٦] .

٢-الاحتجاج لغة: الاحتجاج في اللغة، من باب "افتعال" مصدر "احتجّ"، وأصله من الحجّة بمعنى الدليل والبرهان"[٧] ومنه قوله تعالى:{ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} أي لا يقيمون عليكم حُجة.

كما ورد "احتجَّ احتجَّ بـ / احتجَّ على يحتجّ ، احتَجِجْ / احتَجَّ ، احْتِجاجًا ، فهو مُحْتَجّ ، والمفعول مُحْتَجّ به، احتجَّ بكذا استند إليه، اتَّخذه حُجَّةً له وعُذرًا : احتجّ بأقدميَّته لنيل ترقيةٍ.، واحتجَّ عليه:...عارضه مستنكرًا رافضًا فعله... احتجاج [مفرد]: ج احتجاجات...احتجاج رسميّ: بيان مكتوب يتضمّن اعتراضًا على حالة راهنة ومطالبًا بتغييرها"[٨].

اصطلاحا: يُعد الاحتجاج " وسيلة مادية دفاعية لحفظ الذات الاحتجاجية، ومن ثم هي تُعد خطابًا جديدا للحركات الاجتماعية الجديدة، وذلك يعود إلى ضعف الدولة في الثقافة الجمعية"[٩] وبناء على ذلك، فإن الاحتجاجات كثيرا ما تلجأ إلى استخدام بعض أساليب الضغط غير العنيف على الجهة المُعترض عليها لتلبية مطالبها.

٣-الشِّعار لغة: ورد في المعجم " أشعر القوم: جعلوا لأنفسهم شعارًا، أشعر الحاجُّ البُدن: جعل لها علامة تميزها. أشعر فلانا بالأمر: أعلمه إياه، أشعرهم بالخطر{ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ}

(الأنعام- ١٠٩)...وشِعار مفرد جمعها شعارات وأشْعِرة وشُعُر: قميص، ما وَليَ الجسدَ من الثِّياب،... وهو أيضا رسم أو علامة أو عبارة مختصرة يتيَسَّر تذكُّرها وترديدها تتميَّز بها دولة أو جماعة يرمز إلى شيء ويدلّ عليه... شعار تجاريّ: علامة تجاريّة،...والشعار عبارة يتعارف بها القومُ في السَّفر أو الحرب، وهو ما يسمّى: سرّ اللّيل"[١٠]، فالمعاني المعجمية للكلمة تشير إلى معنى الرمز، أو العلامة.

الشعار اصطلاحا: ذكر صاحب المنجد أنه " تعبير دعائي إعلامي مختصر ومثير للإعجاب"[١١]. وهو أيضا " عبارة مختصرة سهلة التذكر تُعبّر عن فكرة ثابتة أو قيمة أو هدف، وتهدف عادة للإقناع وتتميز بالوضوح والبساطة بحيث تُؤثّر على الرأي العام دون مناقشة وتستعمل الدعاية..."[١٢]، ووظيفته تعتمد على التأثير وتوجيه السلوك لفعل أمرٍ ما.

وإذا كانت الشعارات عبارات مكتوبة لخدمة مقاصد معينة، والهُتاف علو الحناجر بهذه العبارات، لما ورد في اللسان أن " الهَتْف والهُتاف: الصوت الجافي العالي وقيل: الصوت الشديد، وقد هتف به هتافا أي صاح به... وقوس هَتُوف وهَتَفي: مُرنَّة مُصوِّتة"[١٣]. فإن هذا يعني أن الشعار يُمثّل الطور المكتوب للخطاب، والهُتاف يُمثّل الطور المنطوق له مما يخلق صلة بين مصطلح الشعار والمفهوم اللغوي للهتاف، فكأنهما وجهان لعملة واحدة.

٤-**السياق لغة** : السَّوق، والسياق: مصدران من ساق يسُوق، وأصل السياق، سِواق فقلبت الواو ياءً لكسرة السين. جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة السوق "ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسوّاق شدّد للمبالغة، قال الخطِم القيسي(ويقال لأبي زغبة الخارجي) * قد لفَّها الليل بسَوّاق حُطم * وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقًا إذا تتابعت"[١٤] . والسياق "مفرد جمعه سياقات مصدر ساق تعاقُب سلسلة من الظاهرات في وحدة ونظام كتعاقب الظاهرات السيكولوجية والفيسيولوجية"[١٥] . ويُفهم من هذه المعاني اللغوية أن معنى السياق يُشير إلى التتابع والتوالي.

واصطلاحًا السياق "هو مجموع النصوص التي تسبق و/أو تواكب وحدة تركيبية معينة وتتعلق بها الدلالة، حيث يمكن أن يكون صريحًا أو لسانيًّا، ويمكن أن يكوف ضمنيًّا ويتميز في هذه الحالة بأنه سياق خارجي لساني أو مقامي."[١٦] فهو كل ما يحيط بالملفوظ ، وقد يكون سياقا لغويا(سياق المقال) وسياقا غير لغوي(سياق المقام) الذي يشمل عددًا من المؤشرات أو المحددات مثل: الزمان والمكان والحدث والأشخاص.

٥-**التداولية لغة:** ورد في المعجم " تداولنا الأمر: أخذناه بالتداول، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة،.... ودواليك من تداولوا الأمر بينهم..." [(١٧)]. ويبين من معناها اللغوي أنها ترتكز على طرفين أو أكثر لكي تتم المداولة بينهما.

التداولية اصطلاحا : ورد لمصطلح (Pragmatique) عدة ترجمات باللغة العربية، فجاء منها: النفعية، والذرائعية، والبراجماتية، والاستعمالية، والتداولية، والتخاطبية.

ولدلالته على التفاعل والتواصل بين طرفين أو أكثر، شاع مصطلح التداولية من بين تلك الترجمات الآنفة، واصطلح على تعريفها بأنها" دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام الذي تُعنى به تحديدًا اللسانيات"[١٨] وقضيتها الأساسية " إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي"[١٩] من هنا باتت التداولية علم استعمال اللغة.

ولذلك ركزت التداولية في الأدب العربي على "سمة الأدب الاتصالية انطلاقًا من أن الاتصال عمومًا لا يكتمل دون أخذ الأدب وسياقه في الاعتبار، كما أن دراسة الأدب لا تكتمل دون الأخذ فيها الاعتبار توظيف الأدب لمصادر الاتصال المختلفة"(٢٠). ومثل هذا الطرح الذي تقدمه التداولية يعني أن النص بات فضاء منفتحا على سياقه، يستمد منه مرجعيته، ويستثمر التقنيات العلمية بداخله، فيجعلها في ارتباط واتصال بعالم المتكلم والمتلقي.

وقد تطورت التداولية من مجرد نظرية برجماتية ذات طابع نفعي وعملي – كما أرساها (جون ستيورات مل) بعد الحرب العالمية الثانية – إلى منهج يهتم بالمنحى الاتصالي الوظيفي للغة، بالإضافة إلي اهتمامها بالمنحى التركيبي والدلالي وفق إشارة (شارل موريس) في إطار تطويره

للفكر التداولي، واستطاعت بذلك أن تقدم " تعديلات في بعض مقولات الحداثة التي تنظر في اللغة خارج النص على أن مهتمها الأولى (توصيل المعنى)، أما داخل النص، فإن مهمتها توصيل ذاتها بكل ما فيها من جماليات فنية وصياغية"(٢١)؛ أي أنها تقوم بوظيفتين: إحداهما خارجية وهي إبلاغ المتلقى بالمعنى المراد، والثانية داخلية وهي توصيل جماليات اللغة إلى المتلقي.

٦-**الحِجَاج لغة:** اتفق الفيروز أبادي مع ابن منظور فيما أورده من معانٍ، يقول:" الحج والقصد والكف والقدوم.. والغلبة بالحُجّة وكثرة الاختلاف والتردد.." (٢٢). ومن خلال هذا التعدد اللغوي للفظ نجد أن الحِجَاج مرهونٌ بالتنوع السياقي ومن ثم تبيّن أنه عمل تواصلي يتطلب طرفين أو أكثر، له مقاصد إقناعية أو تأثيرية.

أما في الاصطلاح فقد حده(بيرلمان وتيتكا) في مصنفهما الشهير (مصنف في الحجاج) أنه " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تجعل العقول تُسلّم بما يُعرَض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة تلك التسليم"(٢٣) فمهمته إقناع المتلقي وتوجيهه سلوكيّا وعقليّا.

وإذا كانت بنية اللغة كما وصفها (أوستين) في محاضراته عن فلسفة اللغة تقف على حدٍ سواء مع بنية الفكر، نظرًا لأننا ننجز أفعالًا بالأقوال (الألفاظ)، فإنّ هذا يعني أن اللغة قد تجاوزت الوظيفة التواصلية لها إلى الوظيفة التأثيرية الإقناعية التي تستلزم تغيير السلوك، ولهذا عُدّ الحِجَاج أحد أهم مباحث التداولية؛ إذ يهدف إلي دراسة تقنيات الخطاب

التي تثير النفوس، وتكسب العقول، وتزيد فيها إذعان المتلقي عبر حُججٍ لغوية وبلاغية، كل هذا في ظل شرط لا يمكن إغفاله في العملية الحجاجية، ألا وهو مراعاة الكفاءة الذهنية والثقافية واللغوية للمتلقي، إذ بتحقّق هذا الشرط يضمن المسار الحِجاجي التداولي نجاعته الفعلية العملية، " فالخطاب الحِجاجي يخضع ظاهريًّا وباطنيًّا لقواعد القول والتلقي وشروطهما، ما يعني انتماء القول أو النص الحِجاجي إلى مجال التداوليات..." (٢٤)، الأمر الذي يتحقق به خروج اللغة من مرحلة المواضعة التي تخلو فيها اللغة من المقصدية إلى مرحلة الاستعمال التي تقترن فيها اللغة بمقاصد المتكلم، وتُحَقّق المفهوم البلاغي الشائع (مطابقة الكلام لمقتضي الحال)، الشيء الذي يؤكد أصالة ربط اللغة بالاستعمال في الدرس البلاغي واللغوي القديم.

يُفهم من ذلك، أن السياق والمتلقي هما العنصران الأساسيان في العملية التداولية، إذ لابد للمتكلم من مراعاة السياق الاستعمالي للغة وفق طبيعة المتلقي وخلفيته المعرفية والثقافية.

السياق الاستعمالي هو المنوط بإزالة التباس الكلام وغموضه في ذهن المتلقي، لذا فهو من الضرورات المنهجية في المقاربة التداولية، وقد فطن العرب قديمًا إلى أهميته وقيمته في كشف المعنى المُراد–قبل أن تتلقّفَه أيدي الغرب– الأمر الذي يُستدل عليه من تحليل الجاحظ لمراحل العملية البيانية، إذ ذهب إلى تقسيم مراحل البيان إلى ثلاثة مستويات: المستوى الأول (الحروف) ، والمستوى الثاني(الألفاظ)، والمستوى

الثالث(دلالة الألفاظ)، وقد لاحظ من خلال هذا التقسيم أن دلالة الألفاظ (المستوى الأخير) تظل في خفاء وسِتر إلي أن تحين لها لحظة الكشف والوضوح باستعمال الناس لها، " وبقدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعني، وبإظهار المعني الخفي يكون البيان" (٢٥). ومن البدهي أن استعمال الألفاظ وانكشاف دلالتها لا تكون إلا بوضعها في سياق يُميط اللثام عن غموضها.

والسياق نوعان: سياق مقام (سياق غير لغوي) والمقصود به "جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، وهي شخصية المتكلم وتكوينها الثقافي، وشخصيات من شهد الحدث الكلامي، والعوامل الاجتماعية ذات العلاقة باللغة كالمكان"(٢٦)؛ فالسياق المقامي يتسع ليشمل االسياق الثقافي والسياق العاطفي والسياق الاجتماعي ، ويشمل قاسم المعرفة المشترك بين المتكلم والمتلقي، الذي يسمح بوجود القبول الضمني لكل ما له علاقة بالملفوظ .

والنوع الثاني: سياق المقال (سياق لغوي) والمقصود به " تلك الأجزاء من الخطاب التي تحفُّ بالكلمة في المقطع، وتساعد في الكشف عن معناها"(٢٧)؛ أي مجموع العلاقات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية.

والسياق بنوعيه (اللغوي وغير اللغوي) سياقٌ ديناميكي، " فليس السياق مجرد حالة لفظ ، وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ ،

وفضلا عن ذلك، لا تظل المواقف متماثلة في الزمان، وإنما تتغير... فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث"[٢٨]؛ إذ يتحدد السياق بفترة من الزمان وحدود للمكان، ويتمتع بخواص كل منهما، الشيء الذي يؤثر في نشاط كل من الباث والمتلقي، فتتغير رسالة الباث بتغيرهما؛ بمعنى أن" كل عبارة تكون مناسبة لائقة في سياق واحد (مجرد)، وبأن العبارة نفسها تكون غير مناسبة، غير ملائمة في سياق آخر"[٢٩]، فالطرق الصرفية والتركيبية للجمل تتنوع بتنوع الخلفية المعرفية للمتلقي المشارك في السياق التحاوري.

نخلص مما سبق، أن السياق ركيزة ذات قيمة مؤثرة في العملية التداولية، بعناصره التي تسهم في إنتاج دلالة الخطاب، وتسمى هذه العناصر بالمحددات أو المؤشرات السياقية ومنها: طرفا التخاطب (الباث والمتلقي)، الزمان، والمكان، الرسالة. وسوف يتم التركيز في هذه المقاربة على طرفي التخاطب (الباث والمتلقي).

المحور الثاني : الجانب التطبيقي

الباث والمتلقي ركنان محوريّان في العملية التواصلية، إذ لا تتم من دونهما، ولا معنى للخطاب التداولي دون أن يضع الباث في اعتباره الكفاءة الذهنية والمعرفية للمتلقي – قبل إنتاج خطابه، " فالرسالة/ الشعار تصل إلى المتلقين الذين يمتلكون نسق الشيفرة ذاته، والذين يشكلون الجمهور المعبّأ نفسيا، والمستعد للتجاوب التلقائي مع مضمونها...ومتى ما توحّد الجمهور وردد الشعار، واستوعب معناه...

تتأكد وظيفتاه(الشعار) التواصلية والإيعازية"[٣٠] الشيء الذي يسمح له برسم صورة ذهنية عن محيط متلقيه ومعارفهم، ومن ثم يلتزم ببعض الخيارات اللغوية التي تتواءم مع طبيعة المتلقي ومعارفه.

وإذا ما لامسنا موضوع هذه الورقة البحثية، لاحظنا أن تعدد الذوات المتجاورة في الشعارات الثورية – الذي تردد صداه في ثورات الربيع العربي– كان سمة أساسية في تلك الثورات، فإنْ كان الباث واحدًا، فالمتلقي المشارك في السياق التحاوري ليس واحدًا، بل ثمة نوعان من المتلقين أو المخاطَبين، فقد تكون الذات الأولى/ المخاطَب معروفًا بصورة مباشرة نحو: (زين العابدين بن علي في تونس، مبارك في مصر، عبد الله صالح في اليمن، معمر القذافي في ليبيا) ، وأولئك جميعا هتفت جموع شعوبهم بسقوطهم، وفي الآن ذاته هم رمز السلطة والقهر والديكتاتورية التي يتلبسها غيرهم من أعوانهم؛ فإذا كان خطاب الاحتجاج يُطالب – في دلالته المباشرة – بسقوط أو رحيل رمز الدولة ورئيسها ونظامه ومَن على شاكلته في السوء، فإنه ينضوي على دلالة مضمرة؛ دلالة المطالبة برحيل كل ما هو غير سويّ وغير عادل وسقوطه ورفضه من جموع الشعب، كل مَن أخلّ بميزان العدل والعدالة، وكان أداة تنفيذية لها. إن ما يميز طبيعة خطاب الاحتجاج الثوري أنه خطاب جمعي يتحرر من قيود الهوية الفردية التى تتسم بسمات إبداعية على نحو خاص.

أما الذات المخاطَبة الثانية: فهم أولئك الذين اكتَوَوْا بنار الظلم، ورزحُوا تحت وطأة الفقر والجهل والمرض، ودفعهم خوفهم من البطش إلى اللواذ بصمتهم وسكوتهم وعدم محاولة التمرد والثورة على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية المزرية، فجاء الباث/ المُحتجُّ مثيرًا حماسة الذات الثانية بالانضمام إليه والتوحد به، حتى يكونا هما الاثنان: الباث والمتلقي (ذاتًا واحدة)، يجْمَعَهُما (همٌّ واحد)، ويرفعان (شعارًا واحدًا)؛ لذا فإنّ تحقُّق وجود الذات الثانية يُحقق حِجاجية الشعارات إضافة إلى تداوليتها؛ إذ تستوجب حِجاجيّة الخطاب وجود متلقٍ (محدد) لا متلقٍ (كوني)، فذلك المتلقي المحدد هو مَن سيقوم بتفكيك البنى النصية للوصول إلى مقاصد الباث وأغراضه. يُضاف إلى ذلك وجود اتفاقٍ ضمني بين الباث والمتلقي(المحدد) على أن العملية التواصلية بينهما تستكمل فعاليتها من خلال حوارهما الظاهر والمضمر.

وتوسَّل المتكلم/ الباث في سبيل ذلك التوحد المنشود، والتواصل الفعال الناجع ببناء خطابه التأثيري بأسلوب يعتمد البدء بالقول الحجة أولاً ثم الاستدراج بالحُجَج المنطقية التي تؤدي في ختام الخطاب بالقول النتيجة.

وإذا كانت مقصدية الباث هي المهيمن الأول في بناء خطابه، فإنّ مقاربة خطاب الاحتجاج في الشعارات الثورية كشفت عن المقصد الرئيس للمتكلم: رحيل رئيس الدولة وسقوط نظامه، وهو ما تكرر وروده في الشعار الثوري بوصفه ملفوظًا رئيسًا أو بنية رئيسة تُصَوِّر القضية

المطروحة، وكانت منها الشعارات التالية التى رفعها المتظاهرون في الثورة التونسية[٣١] :

- Dégagé
- خبز.. حرية.. عدالة اجتماعية.
- حرّيات، حرّيات، لا رئاسة مدى الحياة.
- شغل ..حرية .. كرامة وطنية.
- بن علي يا جبان.. الشعب التونسي لا يُهان.
- إذا الشعب يومًا أراد الحياة.. فلابد أن يستجيب القدر .
- الشعب يريد إسقاط النظام.

الثورة المصرية[٣٢]:

- كفى فساد.. ارحل يا مبارك.
- صامدون حتى رحيلك يا مبارك.
- نريد الرحيل ، لا بديل.
- الشعب يريد إسقاط النظام.
- ارحل يعنى امشى ، أصله مبيفهمشى.
- عفوا.. لقد نفد رصيدكم.
- متى يرحل هذا النظام؟
- يسقط مبارك السفاح.
- استقيل استقيل ...واحنا نحرس أرض النيل.
- يا مبارك بسرعة اتنحى أنا عاوز استحمى.

- يسقط مبارك مفجر الطائفية.
- يسقط النظام.
- اعتصام اعتصام حتى يسقط النظام.
- إضراب عام حتى الرحيل.

الثورة اليمنية[٣٣]:

- ارحل، ينزع الملك ممن يشاء.
- ارحلوا بكل فسادكم.
- ارحل ارحل.
- Go out، ارحل.

الثورة الليبية[٣٤]:

- Out
- ارحل يا عميل.
- يا قذافي اطلع برا، ليبيا حرة.
- يا قذافي اطلع برّا، إنت وصغارك بالمرّة.
- ارحل يعني حِلّ ، الشعب منك مَلّ.
- يسقط بقايا النظام الفاسد.

ومن الملاحظ في الشعارات الثورية الآنفة أن كلمة (ارحل) كانت أكثر الكلمات دورانًا في معجم خطاب الاحتجاج الثوري، فقد وردت باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية؛ ولعل ذلك معزوٌ إلى دلالتها المكثفة، فهي كلمة أحادية قامت مقام جملة وظيفيًّا، فعكست " في شكلها

الأحادي وفي مضمونها لسان حال الشباب المنتفض والمنادي بالتغيير، والذي اعتمد صيغة الأمر المختصرة، شكلًا ومضمونًا، لتأكيد إداركه لأولوياته التغييرية السياسية"[٣٥]، فقد عبر المتكلم/ الباث عن تصوره لمضمون القضية الرئيسة وهي رحيل رئيس الدولة وسقوط نظامه، مما يعني أنه قد أنجز فعلًا مجتمعيًّا، إذ قصد من احتجاجه بتلك الشعارات بيان معرفته المخصوصة بهذا الحديث الذي يتشارك معه المتلقي في فهمه، ومعرفته بالسياقات الموائمة لاستخدامه، وحتى يظل هذا الفعل المجتمعي في نطاق التداولية الحجاجية ينبغي عدم الاكتفاء بمجرد إخبار المتلقي بهذه المعرفة لأن " أخص خواص السياقات التواصلية هو أن هذه المجموعات(مجموعة المعلومات) تختلف بالنسبة للمتكلم والمخاطَب، وإن كانت تتفق في بعض النواحي، وتتغير صورة معرفة المخاطَب أثناءالتواصل تبعًا لأغراض المتكلم تغيرًّا ملحوظًا... "[٣٦]، وحتى تتغير قناعات المتلقي إزاء القضية المطروحة / رحيل الرئيس وسقوط النظام، كان لزامًا على الباث أن يتخير ملفوظات ذات إحالة تؤسس لَبِنَة منطقية في خطابه الحجاجي التداولي، ومن ثم تجاورت في الخطاب متواليات قولية (حُجَج) تفعيلية لتبرير المقصد المحوري من خطاب الاحتجاج: الرحيل والسقوط، ومن هذه المتواليات:

تونس

- خبز، حرية، عدالة اجتماعية.
- خبز وماء.. بن علي لأ.

- شغل حرية كرامة وطنية.
- حرّيات، حرّيات، لا رئاسة مدى الحياة.
- التشغيل استحقاق يا عصابة السرّاق.
- get money back
- لا رجوع لا حرية..للعصابة الدستورية.
- يا قضاء فيق فيق..والحجّامة تحكم فيك.
- محاكمة شعبية لعصابة الطرابلسية.
- يا ليلى يا حجّامة.. يا نهّابة فلوس اليتامى.

مصر

- ارحل يا مَن أهدرت كرامة المصريين.
- هل أدرك الشعب مَن فجر الكنائس.
- شالوم لن يحكمنا بعد اليوم.
- مبارك راعي الإرهاب في مصر.
- يا هدّار المال العام.
- فلْيسقط الفاسدون.
- الرحيل الرحيل يا بايع الأرض والنيل.
- فليسقط الخونة بائعو الغاز لإسرائيل.
- لا مبارك أب وابن.
- ارحل يا عميل إسرائيل.
- مش هانخاف مش هانطاطى احنا كرهنا الصوت الواطى.

- مش هانخاف من أبوك يا جمال..صوتنا العالى يهد جبال.
- علّي وعلّي وعلّي الصوت واللى هايهتف مش هايموت.
- الحرية نعمة تستحق أن نحارب من أجلها.
- عزة وكرامة لكل مصري.
- حكمتْ فظلمتْ فأُهنتْ يا مبارك.
- الإصلاح بقى شيء مطلوب... قبل الشعب ما ياكل طوب.
- يا مبارك يا عميل.. بعت غزة لإسرائيل.
- في عهد مبارك ٢% هم أثرياء البلد، و٩٨% فقراء البلد.

اليمن

-ارحلوا بكل فسادكم.

ليبيا

-ارحل يعني حِلّ ، الشعب منك مَلّ.

- يا جبار يا جبار.. احجز مكانه في النار
- يا قذافي يابوشفشوفة (الشعر المنكوش الكبير المجعد)... ياحقير... يا زعيم الخنازير.
- لص طرابلس 130 مليارا.

لقد صيغت هذه الشعارات صياغة حجاجية تبريرية، وأضحى كل شعار حُجةً في ذاته، وبرهانًا على أسباب قيام الثورة في كل من (تونس – مصر – اليمن – ليبيا)، والشكل التالي يوضح ذلك:

الدولة	االشعار	دلالته
تونس	-خبز، حرية، عدالة اجتماعية. -خبز وماء.. بن علي لأ. -شغل حرية كرامة وطنية. -حرّيات، حرّيات، لا رئاسة مدى الحياة. - التشغيل استحقاق يا عصابة السرّاق. - get money back - لا رجوع لا حرية.. للعصابة الدستورية. - يا قضاء فيق فيق..والحجّامة تحكم فيك. - محاكمة شعبية لعصابة الطرابلسية. - يا ليلى يا حجّامة.. يا نهّابة فلوس اليتامى.	أسباب الثورة: فقدان الطعام وانعدام الحرية والعدالة الاجتماعية. ومن أسباب الثورة أيضا: نهب الأموال، والبطالة. - إدانة أسرة زوجته ليلى (آل الطرابلسي) لانغماسهم في مظاهر الفساد والإفساد ونهب الخيرات والكسب غير المشروع فتمت معايرتها بمهنتها الأولى وهي االكوافيرة أو الحلاقة (الحجّامة).
مصر	-ارحل يا من أهدرت كرامة المصريين	أسباب الثورة: إهدار الكرامة.
	-هل أدرك الشعب من فجر	أسباب الثورة: تفجير

	الكنائس	الكنائس والفتنة الطائفية.
	-حكمت فظلمت فأهنت يا مبارك	أسباب الثورة: الظلم في الحكم.
	-فليسقط الفاسدون	أسباب الثورة: الفساد.
	-ارحل يا عميل اسرائيل	أسباب الثورة: العمالة لإسرائيل.
	-فليسقط الخونة بائعو الغاز لإسرائيل	أسباب الثورة: الخيانة وبيع الغاز لإسرائيل.
	-الإصلاح بقى شيء مطلوب.. قبل الشعب ما ياكل طوب.	أسباب الثورة: سوء الظروف الاقتصادية التي يعاني منها الشعب المصري.
	-الرحيل الرحيل يا بايع الأرض والنيل.	أسباب الثورة: تفريط مبارك في ممتلكات الدولة بنظام الخصخصة والتفريط في حصة مصر من مياه النيل.
	-عزة وكرامة لكل مصري	أسباب الثورة: حالة العوز والفقر في عصر مبارك آلتْ إلى فقدان عزة المصري وكرامته.
	-لا لمبارك أب وابن	أفضت معطيات السياق

		المعرفي للمتلقي بتأويل هذه البنية وإخضاعها لدلالة التوريث التي كانت متداولة في المجتمع المصري، وكان أعوان النظام يُروّجون لها بكافة السبل المشروعة وغير المشروعة.
	-الحرية نعمة تستحق أن نحارب من أجلها	بعد أن تم قمع كثير من الحريات واعتقل عدد من رجالات الفكر والسياسة بات المواطن المصري غائبا عن واقعه، وفقد مقومًا أساسيا من مقومات حياته فأضحي لزامًا عليه أن يسترده بالثورة وبالتضحية.
	- مش هانخاف مش هانطاطى إحنا كرهنا الصوت الواطى. - مش هانخاف من أبوك يا جمال..صوتنا العالى يهد جبال. - يا حرية فينك فينك ..أمن	ملاحقة أمن الدولة للمعترضين على نظام الحكم والزج بهم في السجون، وإلحاق الأذى بذويهم.

	الدولة بينا وبينك. - اللـي خـايف خـايف ليـه ..هـوه فاضل لينا إيه. - علّـي وعلّـي وعلّـي الصـوت.. واللي هايهتف مش هايموت.	
	- يا هدار المال العام	تأكيـد لانتشـار آفـة الفسـاد في المجتمع.
اليمن	-ارحلوا بكل فسادكم.	أسـباب الثـورة: الفسـاد فـي شـتى صـوره؛ توريـث ونهـب أمـوال، وقصـر المناصـب العليـا علـى عائلـة عبـد الله صالح.
ليبيا	-ارحل يا عميل. -ارحـل يعنـي حِـلّ ، الشـعب منـك مَلّ. - يـا جبـار يـا جبـار.. أحجـز مكانـه في النـار - يـا قذافـي يـابوشفشـوفة... ياحقير... يا زعيم الخنازير. - لص طرابلس 130مليارا	أسباب الثورة: -موالاته لإسرائيل. - طـول فتـرة رئاسـته التـي تجاوزت الأربعين عاما. -نهب الأموال والثروات.

تمحورت معظم الشعارات الثورية الآنفة حول "إبراز مظاهر استفحال الفساد ورموزه في الأنظمة العربية"[٣٧]، ومن ثمّ التعرض لمظاهر ذلك الفساد والإشارة إليه أحيانا؛ فقد يكون من أسبابه نهب ثروات البلاد نحو: الشعار الليبي (لص طرابلس 130مليارا) والشعار المصري (يا هدّار المال العام) ، والشعار التونسي (get money back– لا رجوع لا حرية ..للعصابة الدستورية) وقد يكون التوريث سببا من أسباب الفساد نحو ما ورد في الشعار المصري (لا لمبارك أب وابن – مش هانخاف من أبوك يا جمال .. صوتنا العالى يهد جبال) وفي الثورة اليمنية (لا للتوريث).

لقد صيغ خطاب الاحتجاج في الشعارات الثورية صياغة حجاجية أسهمت في زيادة التراكم المعلوماتي والمعرفي لدى المتلقي بعد وقوع المعلومة القديمة(المطالبة بالرحيل) في حدود إدراكه، وهذه الإضافة التي توصف بأنها إحالة مرجعية للموضوع القضية– تسهم حتمًا في حدوث نمط من أنماط التغيير لدى المتلقي سلوكيًّا وفكريا ومجتمعيًّا "وإذا حصل هذا التغيير الإبيستيمي (المعرفي) تبعًا لأغراض المتكلم، ومن خلال تأويل العبارة المتلفظ بها، فنحن نجزم بأن ذلك التغيير هو نتيجة للفعل التداولي"[٣٨]، فقد أبان المتكلم بصورة واضحة عن حدوث القضية المطروحة/ رحيل الرئيس وسقوط النظام، ثم تلا ذلك بعدد من الإحالات المرجعية وفق ترتيب منطقي في ذهن المخاطَب،

الأمر الذي أدى إلى حدوث تغيير في سلوك المخاطَب وفق المتواليات القولية التي تلت القول (المقدمة) التي تم تأويلها في سياقها الصحيح.

وإذا كان للمحددات السياقية دور مهم وفاعل في إنتاج المتكلم للخطاب وتأويل المتلقي له، فإن الزمن أحد هذه المحددات" هو المعيار الذي يحتكم إليه المتكلم لاختيار الكلام المناسب له حتى تتسنى فرصة التواصل مع المخاطب"[٣٩] ومن ثم فرصة التأثير فيه.

وإذا كان أفق انتظار المتلقي يتحدد بزمن الخطاب ومكانه، فإن زمن خطاب الاحتجاج في الشعارات الثورية من وجهة النظر المعرفية هو زمن تتحدد بدايته بيوم اندلاع الثورة في الدول محل الدراسة وهي (١٨ ديسمبر عام ٢٠١٠ في الثورة التونسية ، ويوم ٢٥ يناير عام٢٠١١ في الثورة المصرية ، ويوم١١ فبراير عام٢٠١١ في الثورة اليمنية ، وفي الثورة الليبية يوم ١٧ فبراير عام ٢٠١١) وتتحدد نهايته (إما بهروب الرئيس ومغادرته البلاد كما حدث في الثورة التونسية ١٤ يناير ٢٠١١ ، وإما بتنحي رئيس الدولة كما حدث في الثورة المصرية ١١ فبراير ٢٠١١ ، أو بتجاهل الرئيس لمطالب الثوار واحتقاره لهم، ما أدى إلى اغتياله وتصفيته من قِبل الثوار، وهذا ما حدث مع الرئيس الليبي ٢٥ أكتوبر ٢٠١١، أوبتعطيل الدستور وتوقيع الرئيس على المبادرة الخليجية كما حدث في الثورة اليمنية ٢٣ نوفمبر ٢٠١١). وفيما بين الزمنين تباينت طبيعة الخطاب اطرادًا مع تباين القضية (الرسالة)، فقد اتخذ الخطاب بعد المطالبة بالرحيل مسارًا دلاليا مختلفا، توسل فيه

المتكلم / الباث مسارًا حجاجيًّا اعتمد فيه عرض مطالبه الثورية التي تبدو في ظاهرها النسقي منفصلة عن قضية الرحيل أو سقوط النظام، لكنها في حقيقة الأمر متسقة تمامًا مع سياقها الثوري الذي أنجبها، وتخلّقَت من خلاله.

وإذا كان من حجاجية الخطاب ونفاذ فعاليته لدى المتلقي ألا تتكرر ملفوظات الرحيل بعد إنجاز فعل الرحيل والتنحي، فإن تأكيدًا لهذه الحجاجية الخطابية، واستمرارًا للتواصل مع المتلقي، وتلبيةً لأفق التوقع لديه أن يتدرج به المتكلم ذهنيًّا متوسلاً بملفوظات أخرى تحقق درجة أعلى من التواصل والإقناع.

وهذا ما حققته المتواليات القولية، ومنها:

الثورة المصرية

- كرامتنا هي الأساس .. حقي وحقك فوق الرأس.
- الثورة مستمرة حتى تحقيق أهدافها.
- لا للطوارئ.
- يا بنوك سويسرا عايزين فلوسنا.
- دم شبابنا راح فين.
- من أجل مصر مبادرة السلام والاستقرار دعوة لوقف الاعتصامات والإضرابات.
- الحرية للمعتقلين السياسيين.
- الشعب يريد محاكمة الرئيس.

- إلغاء المحاكم العسكرية للمدنيين.
- الشعب يريد تجميد أرصدة مبارك وعائلته في الداخل والخارج.
- نهاية الفساد للأبد.
- نهم قادرون على التغير.
- نحن الشباب صناع القرار.
- فوراً إقالة جميع المحافظين أعوان الفساد.
- لا وألف لا للاختلافات العصبية والحزبية والدينية.
- التباطؤ = تواطؤ.
- فوراً . محاكمة مَن قتل شهداء التحرير.
- يا صباح الفل على أولادنا شباب التغيير.

يا صباح النصر على صورة وحياة ومصير.

يا صباح الثورة على بلدنا يا حب كبير.

يا صباح الأمل يا صباح العمل يا صباح التطهير.

- مبروك لمصر .. المجرم غادر القصر.
- يا مشيرنا يا مشير .. حرر ثوار التحرير.
- فيلم الموسم .. حسني مبارك والأربعين حرامي.
- حرية مع خطر أفضل من عبودية مع استقرار زائف.
- عودوا يا علماء .. جاء وقت البناء.
- المصريون بمسلميهم ومسيحييهم أبناء وطن واحد.

الثورة اليمنية

- لا حوار قبل الإقالة.
- إقالة العائلة.
- إقالة القتلة والمجرمين من مناصبهم.
- ثورتنا مستمرة حتى تحقيق أهدافها.
- لا حصانة للقتلة.

الثورة التونسية

- نعم للدولة العلمانية.
- تونس ليك.. تونس ليا.. تونس علمانية.
- لا لعودة التعسّف.
- لا للمساومة بمكتسبات المرأة التونسية.
- كلمة شعب: إقصاء رموز الفساد.
- يسقط جلّاد الشعب.

الثورة الليبية

- إرفع رأسك فوق، أنت ليبي حر.
- الليبيون قبيلة واحدة.

والملاحظ أن كثيرا من الشعارات (المصرية) بصفة خاصة جاءت باللهجة العامية؛ لأنها أسرع في التأثير في جموع الجماهير المحتشدة، فضلا عن مناسبتها لشتى المستويات التعليمية والثقافية والأيدولوجية.

لقد تم التواطؤ بين طرفي الخطاب في هذا الخطاب التواصلي تأسيسًا على الافتراضات المسبقة التي صيغت منذ طرح الطرف الأول / المتكلم ملفوظه الأول وما تلاه من ملفوظات قولية مثّلت القضية الأساسية للطرف الثاني / المخاطب، إذ " في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تُشكّل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة"(٤٠)؛ فالدوال التي تضمنها الخطاب التواصلي بعد تحقيق مطلب (الرحيل)، وقبل لحظة (الرحيل) تؤكد أن تواطئًا معرفيًّا قد حدث بين شركاء الحوار، مهّدت له بنية الخطاب المتداول وحركية واتساق عناصره وترابطها؛ ذلك أن المطالبة أولاً بالرحيل، ثم تعزيز هذه المطالبة بتبرير الحُجج وعرضها، قد سمح للمتلقي أن يتنامى ويتدرج ضمن السياق الكلامي بذهنه إلى قبول معلومات جديدة تُضاف إلى الافتراضات المعرفية السابقة، هذه المعلومات ذات إحالة زمنية لما بعد لحظة تنفيذ (الرحيل)، فبعدما تشارك المتكلم والمخاطب في تحقيق التواصل الفعال بينهما وهو غاية التداولية الأولى، كان عليهما أن يتشاركا معًا في عرض ملفوظات تبدو في إحالتها المرجعية للسياق العام قضايا فرعية، وتغدو قضايا رئيسة في حال إحالتها زمنيًّا إلى ما بعد لحظة الرحيل في (تونس ومصر واليمن وليبيا).

فإذا كان المتكلم / الباث قد تخير وارتضى لخطابه عددًا من الملفوظات نحو: كرامتنا – السلام والاستقرار – الحرية للمعتقلين – لا للطوارئ – محاكمة الرئيس – تجميد أرصدة الرئيس – نهاية الفساد – تطهير البلاد – إقالة جميع المحافظين، فإن هذا السلوك الصياغي والأسلوبي يعني أن المخاطَب / المتلقي بات في إمكانه – بما تأسست لديه من كفاءة معرفية وذهنية – أن يؤول هذه الملفوظات وفق سياقها الزمني الذي تضمنها؛ وتتولد لديه قناعة بأن هذا الخطاب التداولي الحجاجي يُقدم حُججًا منطقية تدلل على وجود قيام الثورة منذ أن فُقدت الكرامة، وغاب السلام والاستقرار الحقيقي غير الزائف، وبعد أن تم وأد حرية الرأي، وفرض حالة الطوارئ، وغابت العدالة الاجتماعية، فأثرى الأغنياء في مقابل ازدياد فقر الفقراء. كل هذه الدوافع التي عبرت عنها ملفوظات الخطاب تسهم حتما في ازدياد اقتناع المتلقي، وارتفاع معدل الرغبة في التغيير السلوكي والاعتقادي.

الخاتمة

أما بعد، فقد استخلصت هذه الدراسة جملة من النتائج، من أهمها:

١- الشعارات الثورية كانت في منطلقها أداة تعبير عن الاحتجاج، ثم أصبحت وسيلة تغيير وإصلاح حتى وإن لم تجنِ كل الثمار التي غرستها في نفوس المتلقين وعقولهم .

٢- أظهرت ملفوظات خطاب الاحتجاج الثوري ملامح التغيير الجذري الحادث في علاقة السلطة بجموع الشعب، فقد تجلى الوعي السياسي والثقافي من خلال عرض مطالب الثورة المتغيرة بتغير الأحداث .

٣- انعكست الطبيعة الحجاجية على خطاب الاحتجاج الثوري، إذ تمت صياغته لغويا وتركيبا بصورة مكثفة وموجزة لاستقطاب الجمهور.

٤- كان للسياق دور واضح في تغيير ملفوظات الشعارات الثورية، وهذا ما تم رصده في خطاب الاحتجاج منذ بداية ثورات الربيع العربي في الدول محل الدراسة، وحتى نهايتها وتلبية بعض مطالبها.

٥- بدت معظم الشعارات الثورية في (تونس- مصر- اليمن – ليبيا) متشابهة إلى حد كبير، كما ظهر في الشعارات: الشعب يريد إسقاط النظام- عيش (خبز) حرية عدالة اجتماعية- ارحل.

٦- بالرغم من ظهور مرونة اللغة العربية في التعبير عن ثقافة الاحتجاج، إلا أن اللهجة العامية كانت حاضرة بصورة ملحوظة في شعارات الثورة المصرية بصفة خاصة؛ حاملة معها خفة ظل الإنسان المصري الذي اعتاد الضحك والسخرية من معاناته، منها شعار: (فيلم الموسم .. حسني مبارك والأربعين حرامي- ليلة سقوط أوغاد- كلموه بالعبري ما بيفهمش عربي- ارحل بقى يا عم خلي عندك دم- يا مبارك بسرعة اتنحى أنا عاوز استحمى).

٧- اتسمت الشعارات الثورية جميعها باللغة المباشرة، التي تنجز أغراضها بقوة معانيها، واتسمت بوضوح الهدف وسلاسة الصياغة اللغوية (في مستوييها الفصيح والعامي) لتؤدي غاية حجاجية تداولية محددة هي جمع الحشود المحتجّة وتوجيهها والتأثير فيها، مما تطلب بنائها لغويا بشكل إيقاعي مسجوع.

الهوامش والإحالات

(١) **الثورة التونسية** ١٨ ديسمبر ٢٠١٠ ، **الثورة المصرية** ٢٥ يناير ٢٠١١ ، **الثورة اليمنية** ١١ فبراير ٢٠١١ ، **الثورة الليبية** ١٧ فبراير ٢٠١١

(٢) أحمد المتوكل، حسان الباهى وآخرون: التداوليات (علم استعمال اللغة)، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيلي علوى، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط٢، ٢٠١٤، ص٤١.

(٣) ظهرت إشكالية في تصنيف مثل هذا النوع من الخطابات من حيث انتمائه إلى دائرة الأدب الشعبي أم لا، وإشكالية انتماء الأدب الشعبي ذاته إلى المجال الأدبي أو عدمها قضية أثارها بعض نقاد الأدب في حكمهم على الأدب الشعبي ، إذ وجدوا أنه لا يسير وفق أنماط فنية ومعاييرَ واضحة، شأن شعر شعراء التروبادور، وشعر الموشحات الأندلسية، ومن ثمّ تجنبوا نقده بوصفه فنا أدبيا يخضع للشروط الفنية والمعيارية. والحق أننا إذا تأملنا انتقادهم هذا، وأخضعناه لمفهوم الأدب الشعبي الذي هو " فن القول الذي تنتجه جماعة شعبية، يتناقل بالمشافهة من جيل الي آخر بوصفه ذخيرة مشتركة، وأحد التعبيرات الفنية التي تدخل في إطار تشكيل أو إعادة تشكيل التراث، فضلا عن كونه تعبيرا عن الشعور الجمعي لمجموعة ما في نطاقها الثقافي المرتبط بعامل الجغرفيا والتاريخ" الأدب الشعبي بهتافات ميدان التحرير:عدي جوني ، موقع الجزيرة نت، فبراير ٢٠١١ .

ويتبين لنا أن الأدب الشعبي لا ينبت في مفهومه عن المفهوم العام للأدب، وإن كان ثمة تشدد من هؤلاء النقاد على أن تحلل الأدب الشعبي وتحرره من المعايير الفنية الواضحة للأدب، سبب رئيسي في انتفاء صفة الأدبية من " الأدب الشعبي" وتحرره من المعايير الفنية الواضحة للأدب، فإننا نستند إلي حديث باختين (١٨٩٥-١٩٧٥) عن الكرنفالية في كتابه: (شعرية دوستوفيسكي)، فالكرنفالية في مفهوم باختين نوع من النشاط الذي يجري في المواسم الشعبية والاحتفالات ويتسم بخروج عن المألوف، فيه خروج عن التراتبية الهرمية للمجتمع، وإخضاع المسلمات للمحاكمة، وعلو الأصوات المقهورة. وتأسيسا على ذلك فالكرنفالية أو الأدب الكرنفالي نوع أدبي يكسر القيود التي يفرضها نظام سائد مهيمن، في إطار من المرح أو من الفوضي. انظر: ميخائيل باختين: شعرية دوستوفيكى، ترجمة: د.جميل نصيف، مراجعة: د. حياة شرارة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦ ، ص ١٥٥-١٥٦.

(٤) محمد خلف الله أحمد وآخرون : المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مادة (خطب)، ط٤، ٢٠٠٤

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة (خطب)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠

(٦) فان دايك: الخطاب والسلطة، ترجمة: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ع ٢٤١٩، ط١، ٢٠١٤، ص ٢٢٢

(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة حجج

(٨) أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مادة ح ج ج، ط١، ٢٠٠٨

(٩) شحاتة صيام : ثقافة الاحتجاج من الصمت إلى العصيان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٧٣

(١٠) أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة ش ع ر

(١١) أنطوان نعمة وآخرون : المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مراجعة: مأمون الحمودي وآخران، دار المشرق ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢، ص٧٧٣

(١٢) أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان، بيروت ، د.ط، ١٩٨٢، ص ٣٧٩.

(١٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة هتف

(١٤) السابق : مادة سوق

(١٥) أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة سوق

(١٦) علي آيت أوشن: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر، ط١ ،٢٠٠٠ ، ص٣١-٣٢

(١٧) ابن منظور: لسان العرب ، مادة دول

(١٨) جاك موشلر، آن ريبول :القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط ٢٠١٠، ص ٢١

(١٩) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٦-١٧

(٢٠) ميجان الرويلى، د. سعد اليازعى: دليل الناقد الأدبى ، المركز الثقافى ، المغرب العربى ، ط٣، ٢٠٠٢، ص١٦٩

(٢١) د. محمد عبد المطلب: القراءة الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ص٩٠.

(٢٢) الفيروز أبادى: القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مادة حجج، د.ط ، ١٩٨٠

(٢٣) د. عبد الله صولة: البلاغة العربية فى ضوء البلاغة الجديدة ، ضمن كتاب الحجاج (مفهومة ومجالاته)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٠ ، ص٣٢.

(٢٤) رضوان الرقبى: الاستدلال الحجاجى، عالم الفكر، الكويت، مج٤٠، ع٢، أكتوبر - ديسمبر، ٢٠١١، ص٦٨.

(٢٥) الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، مصر، ج١، ط٤، ١٩٧٥، ، ص٧٥.

(٢٦) شيتر رحيمة: تداولية النص الشعرى (جمهرة أشعار العرب نموذجاً) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٩، ص٢٠٨.

(٢٧) السابق، ص٢٠٩.

(٢٨) فان دايك: النص والسياق ، ترجمة: عبد القادر قنينى، دار إفريقيا الشرق، المغرب، دط، د.ت. ص٢٥٨.

(٢٩) السابق، ص٢٦٠.

(٣٠) نادر سراج : مصر الثورة وشعارات شبابها (دراسة لسانية في عفوية التعبير)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط١، ٢٠١٤، ص ٤٦-٤٧

(٣١) نادر سراج: الشعارات السياسية من أداة تعبير إلى وسيلة تغيير ضمن مطبوعات التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية (العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير)، مؤسسة الفكر العربي، لبنان، ط١، ٢٠١٤

(٣٢) أحمد عثمان : حوار مع الثوار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص١٨٠.
(٣٣) نادر سراج: مصر الثورة وشعارات شبابها (دراسة لسانية في عفوية التعبير)، ص ٢٠٣
(٣٤) السابق: ص ٢٠٥
(٣٥) السابق: ص ١٨٣.
(٣٦) فان دايك: النص والسياق، ص٢٩٢.
(٣٧) نادر سراج: الشعارات السياسية من أداة تعبير إلى وسيلة تغيير، ص ٦٩٩
(٣٨) فان دايك: النص والسياق، ص٢٩٣.
(٣٩) شيتر رحيمة: تداولية النص الشعرى ، ص٢٤٧.
(٤٠) حافظ إسماعيلي: التداوليات (علم استعمال اللغة) ، ص٤٣.

المصادر والمراجع

- أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان، بيروت ، د.ط، ١٩٨٢
- أحمد عثمان : حوار مع الثوار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٢
- أحمد المتوكل، حسان الباهى وآخرون: التداوليات (علم استعمال اللغة)، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيلي علوى، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط٢، ٢٠١٤
- أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مادة ح ج ج، ط١، ٢٠٠٨
- أنطوان نعمة وآخرون : المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مراجعة: مأمون الحمودي وآخران دار المشرق ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢
- الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، مصر، ج١، ط٤، ١٩٧٥
- جاك موشلر، آن ريبول :القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط ٢٠١٠
- رضوان الرقبى: الاستدلال الحجاجى، عالم الفكر، الكويت، مج٤٠، ع٢، أكتوبر – ديسمبر، ٢٠١١
- شحاتة صيام : ثقافة الاحتجاج من الصمت إلى العصيان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢

- شيتر رحيمة: تداولية النص الشعرى (جمهرة أشعار العرب نموذجاً) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٩
- عبد الله صولة: البلاغة العربية فى ضوء البلاغة الجديدة ، ضمن كتاب الحجاج (مفهومة ومجالاته)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٠
- علي آيت أوشن: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر، ط١ ،٢٠٠٠
- فان دايك: النص والسياق ، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، المغرب، دط، د.ت
- فان دايك: الخطاب والسلطة، ترجمة: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ع ٢٤١٩، ط١، ٢٠١٤
- الفيروز أبادى: القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مادة حجج، د.ط ، ١٩٨٠
- محمد خلف الله أحمد وآخرون : المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤
- محمد عبد المطلب: القراءة الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣
- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥

- ابن منظور: لسان العرب، مادة خطب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠
- ميجان الرويلى، د. سعد اليازعى: دليل الناقد الأدبى ، المركز الثقافى ، المغرب العربى ، ط٣، ٢٠٠٢
- ميخائيل باختين: شعرية دوستوفيكى، ترجمة: د.جميل نصيف، مراجعة: د. حياة شرارة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦
- نادر سراج : مصر الثورة وشعارات شبابها (دراسة لسانية في عفوية التعبير)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط١، ٢٠١٤
- نادر سراج: الشعارات السياسية من أداة تعبير إلى وسيلة تغيير ضمن مطبوعات التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية (العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير)، مؤسسة الفكر العربي، لبنان، ط١، ٢٠١٤

Protest speech in revolutionary slogans

Abstract

The protest in its simplest concepts is to object to something, and it has emerged as an essential component in both Arab and Western societies, but it has been evident in the Arab states that have fallen under the weight of colonialism, with the emergence of repressive regimes in some Arab countries, and the deterioration of political, social and economic conditions, the image of protest has evolved in the modern era, and the arab masses in those countries are on the brink, and the right moment to declare - openly their resistance and rejection of marginalization, exclusion and all dictatorial practices - has emerged.

Slogans and chants were the means of these crowds to declare their protest, influencing others who fear edifying rulers if they show their resistance and protest, or perhaps lack a culture of protest through which they can claim their stolen rights and defend their legitimate destinies.

Because the protest in revolutionary slogans comes from a collective feeling in a single historical and geographical context, we are fond of cultural connotations, reflecting its social, social and cultural lycées and compositions of society. The speaker in it relies on his acquired and acquired linguistic heritage, to be an effective tool in accomplishing a special message, according to changing contexts and conditions, and as strong as those variables, the strength of the protest speech is a tool to embody the demands of the people, for those who care about them, whether they are shepherds or parishioners. The rhetoric of protest in revolutionary slogans has verbal and demeaning characteristics, and is not without compelling and influential purposes, as well as a Pragmatics act, which gives legitimacy to its approach Pragmatic Argumental.

Key Words: The protest -Slogans – revolutionary -Pragmatism